

جوانا حاجي توما و خليل جريج يتحدثان الى "صدي البلد" عن فيلمهما "يوم آخر" نحاول الإحساس بالمكان والصورة تفتح المعاني في كل الاتجاهات

"يوم آخر" (عنوان آخر له بالإنكليزية A Perfect Day) فيلم لبناني لجوانا حاجي توما و خليل جريج في صالاتنا المحلية اليوم، تجربة أخرى للسينمائيين الزوجين تنتظر التقاء جمهورها بعد الروائي الأول لهما "البيت الزهر" الذي عرّف الجمهور الى خطابهما السينمائي الفريد قبل بضعة أعوام.

في العرض الافتتاحي لـ "يوم آخر" أعربت للثنائي علانية بأن فيلمهما مليء بالسينما، أي ثري اللغة، عميق المضمون، وأنه يلامس واقع المدينة ويعيشها الراهن في صدق وشفافية، وأنه يقبض على مناخات واقعية تنشي بروح بيروت و"جسدها"، بصخبها وضجيجها، بفرانها وامتلانها، بليها ونهارها، بناسها المازومين والتائهين. بغاية إعلاناتها العملاقة وإيقاعها المائل الى البطء والتكرار وعدم حصول شيء مهم، بالكائنات التي تحيا فيها وتعبورها كالأطياف، حيث لا يعثر الجسد على مكانه وزمانه، بين ماض لا تزال لظلاله ماثلة، وراهن ملتبس بلا نقطة ارتكاز.

قصة الأب المختطف ليست سوى ذريعة وشرارة انطلاق درامية للخروج من الماضي الى وصف الراهن عبر مالك (زياد سعد) و أمه (جوليا قصار) وصديقة مالك (الكسندرا قهوجي) المهاجرة والعائدة اليه بلا توقف، في دائرة مغلقة من التمزق والتأزم النفسيين والجسديين، مع استمرار نافذة الأمل مفتوحة الى النهاية.

في انتظار عودة تقويمية الى الفيلم الذي يستحق ان يلاقي جمهوره، نلقي ضوءاً على التجربة المميزة للثنائي حاجي توما و جريج عبر هذا الحوار معهم.

جورج كعدي

يتبين الى الآن ان زمن الحرب لا يهكمكم، بل زمن ما بعد الحرب وتبعاته. قصة الاختفاء في "يوم آخر" مجرد ذريعة لدخول الزمن الراهن.

خليل جريج: نعم في كل افلامنا على الراهن، الماضي يرخي بثقله على الراهن، والمستقبل مشروع لا نشعر بأنه يخصنا شخصياً...

جوانا حاجي توما: لا يزال المستقبل غامضاً لنا، لا ندري ما هو.

جريج: نحن مضطرون الى عيش الراهن.

حاجي توما: نصنع افلاماً ذاتية حول ما نعيشه. حول الأسئلة المطروحة علينا. نحكي عن ذلك في افلامنا، كتبنا "يوم آخر" في فترة كنا نحس فيها باننا نتحرك على آلة مشي أو ركض ثابتة، نتحرك ونسير ولا شيء يتبدل في حياتنا، نطل مكاناً متخيلين اننا نتحرك.

انطلقتما من قصة اختفاء واقعية تتعلق بخالك، خليل جريج، لكنكم ذهبتم ابعدهم لترويا امراً آخر. كم بقي من الذاكرة الشخصية؟ وكم تركتم هاما للأفكار الجديدة والمتخيلة؟

جريج: حتى لو كان حدثاً مهما كحدث اختطاف خالي وتأثرنا به جميعاً في العائلة، فأني لا أصنع فيلماً عن هذا الموضوع فقط، ثمة آثار في حياتنا اليومية من حادثة الاختطاف ومن كل المشاكل التي عانيناها.

حاجي توما: قضية الاختطاف تحمل أيضاً مسألة الكمون. نشعر باستمرار ان ثمة قضايا كامنة لا نتطرق اليها. الحرب واحاديث الحرب لا تزال كامنة ومخباة.

جريج: تماماً كالسلاح الذي لا يزال موجوداً في انتظار الظرف الذي يخرجها.

حاجي توما: أردنا العمل على أكثر من قصة كاملة، بل على حالات قوية، كأننا نرمي حصي في الماء، فالحصاة تحدث دوائر لدى رميها في الماء. هكذا نعمل، نرمي حصاة، أو قصة، تستدعي انعكاسات وتأثيرات. لا نبحث عن حلول في النهاية.

ليس الناس وحدهم موجودين

هنا في "يوم آخر"، بل ان المكان أيضاً حاضر في قوة، أي المدينة. كان ثمة اشكالية كبرى تعانيناها مع المدينة، تحاولان تصويرها بتفاصيل جنونها وضجيجها وزحمة السير وصخب الليل... الشريط الصوتي يكمل صورة المدينة. كم تقلقكما بيروت التي تتركها وتعودان اليها دوماً؟

جريج: علاقتنا بالمدينة تتغير كل يوم. لعلك تملك الإحساس نفسه بانك يوماً تحتلها ولا تحتلها في يوم آخر. لكنها مكانك أنت لست ساكناً فيها فحسب بل انها تسكنك أيضاً. هذه العلاقة تجعلنا لا نطلق صفة عليها. نحاول الإحساس بالمكان وفتح المعاني. لذا فيلماً ليس رمزياً.

نروي قصة شخصين ولا نرغم أننا نروي قصة بلد أو جيل أو مجتمع

الصورة تفتح المعاني في كل الاتجاهات.

حاجي توما: أردنا إظهار أربع وعشرين ساعة في المدينة حيث تدور قصص كثيرة، نرى وجوهها المختلفة، وددنا تصوير المدينة في شكل مختلف، لا نركب أي مشهد، زحمة السير مثلاً لا نركبها. ندخل زحمة موجودة، على الكورنيش الأمر نفسه.

أي ليست هناك إعادة تركيب للمشاهد.

حاجي توما: كلا، لكن ثمة القليل حيث تقتضي الضرورة.

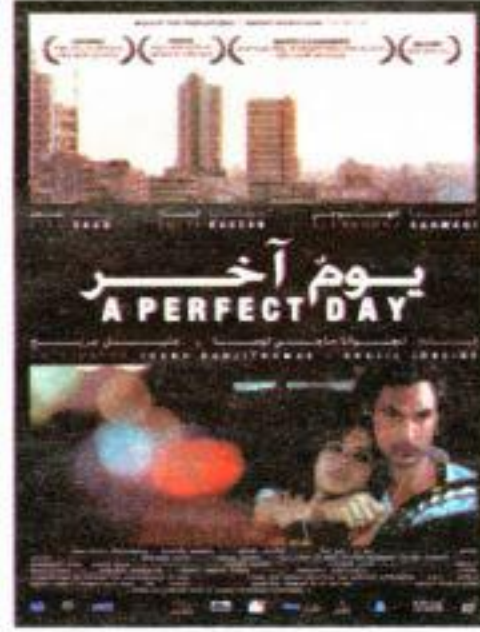
جريج: ثمة كما لاحظت اسلبية للصوت والصورة. لذا ينبغي ان نكون عارفين ماذا نريد. ندخل المكان ونطلع منه بما نريد.

رغم الانخراط الطبيعي يظهر بعض المشاهد في الأماكن العامة كأنه مهياً سلفاً.

حاجي توما: صحيح. هناك اصطدام بين الروائي والواقعي، ويظل الواقع يفاجئك في بعض الأماكن. هيئنا انفسنا، لكنك لا تفعل سوى دخول المدينة وتفرض هي نمط عيشها، انه موضوع الفيلم في ناحية ما.



جوليا قصار... الحضور الأسر



ذكرت لي خليل عبارة جميلة حول الإحساس بالمدينة. هل أوصلتما إحساسكما بالمدينة في هذا الفيلم؟

جريج: سؤال صعب، لم نشأ ان نجعل من المدينة موضوعاً في ذاته.

لكنها حاضرة في قوة.

جريج: صحيح، المدينة حاضرة، انما ليس كموضوع أو قضية، الأمر متعلق بتفاصيل صغيرة تشعر بصدقها، بدءاً من زاروب منزلنا الذي تشعر باننا نحياه.

ثمة تفاعل بين الزمان والمكان.

حاجي توما: تماماً. الفيلم مليء بالأحاسيس والانفعالات الناتجة من المناخات.

مثلما صورتما الشوارع صورتما كذلك ليل مونا حيث تبدو حساسية خاصة إزاء هذه الحياة الليلية. ثمة مشهد طويل هناك، ماذا أردتما ان توصلا من خلاله؟

حاجي توما: السؤال هنا كان بسيطاً جداً، لم حين يأتي المساء ولا شيء نفعله نقرر الخروج؟ ولم يشعر كل فرد في هذه المدينة بأنه في حاجة الى الخروج حتى لو لم يرغب في ذلك؟ اننا نعود دوماً الى الأماكن عيناها. أردنا ان نظهر ما يجري في الحياة الليلية حيث يتحزق الناس ويخرجون الى الشوارع في كثافة كانهم يبحثون عن شيء.

جريج: لا نملك في الفيلم موقفاً اخلاقياً من الناس والأمكنة. نعيش في الوقت ذاته الضياع والحماسة، الحب والكره.

ألا تشعران بأنه مكان مصطنع ليس من نسيج المدينة؟

حاجي توما: بل أرى انه بيروني جداً.

جريج: هل تعلم ان السياح يأتون من أجل ليل بيروت؟

لكن ذلك لا يمنع ان ثمة امورا متناقضة في هذه المدينة.

حاجي توما: صحيح، لكني اشعر احياناً بأنني لا استطيع الا ان اكون في هذه المدينة، ثمة بحث عن العيش المكثف في شارع الملاهي هذا. كثافة لا تفضي في الواقع الى شيء، انه الشعور لدى رؤية الناس يسمعون الموسيقى القوية ويشربون. كأن ثمة ما يصعد ويصعد ثم يسقط. انه أمر عائد الى الحرب الطويلة التي عشناها وكان كل امرئ مميّزاً في موقعه. كان الجميع ابطالا في زمن الحرب. فجأة توقف ذلك ولم نبق ابطالا. ارى للأمر صلة بما نراه اليوم.

جريج: لم يبق عالم الليل ذا مرجعية طائفية.

جريج: لكن من حيث لا تصدق ربما أضحت الأم تمثل أكثر من نفسها. انها تمثل في معنى ما المرأة اللبنانية التي تعاني أكثر من فقدان زوجها، تعاني الكبت والحرمان والعزلة.

جريج: بلى، اذ اخترنا امرأة مثل جوليا (قصار) على هذا القدر من الجمال فمن أجل الإيحاء بذلك.

حاجي توما: ثمة كذلك العلاقة بين الأم والابن وهي قوية جداً.

تكاد تلامس علاقة سفاح القربى.

حاجي توما: علاقة جسدية جداً، نعاني في مجتمعنا مشاكل مع الجسد، اللمس والقبلة كثيرة.

في ما بيننا، الابن يبغى التحزق من أمه ليبدأ العيش. واضح انه يحبها لكن كفى. لا يريد ارتداء سترة والده، يريد ان يعيش.

يروم الخروج من العلاقة الجسدية الخطيرة ومن سيطرة الأم أيضاً.

جريج: ماذا تتمنى الأمهات والعائلة، ان يبقى الولد في العائلة. والمشكلة كلها كيف الخروج من العائلة. مشهد حمل مالك السترة خلف الباب خطير، بسمع بكاء أمه ولا يدخل لمساعدتها. يكذب على أمه ويدهها في خوف كبير.

هل كانت مشكلة صديقتيه في جزء منها مشكلة التصاقه بأمه؟

حاجي توما: يمكن. الفكرة انها تريد بناء شيء من هذه العلاقة. في الوقت نفسه تتخلى عنه صباحاً ثم تلقيه ليلاً في أحد الملاهي. تحن عليه، تحبه، تراه نائماً فتحنو عليه، لكنها فجأة ترفض الذهاب معه اذ لا مكان بقصدانه. لا يملك مكاناً خاصاً. هذه المسألة شائعة جداً في

ثمة اصطدام بين الروائي والواقعي ويظل الواقع يفاجئك في بعض الأماكن

لبنان.

جريج: حاولنا القول ان بيروت مدينة حديثة جداً ومرتبطة بالعولمة. ما يحصل في بيروت يشبه ما يحصل في لندن. لكن علاقتنا بالجسد تشعرنا باننا لسنا هنا. وجودنا نشعر به عبر العلاقة مع الجسد. هذا الجسد لم يبق فاعلاً، اين نحن؟

هذا ما قصدته بالحضور الشبحي.

حاجي توما: الحضور الشبحي يترافق مع غياب الجسد الذي يعود الى البروز مجدداً. اشتغلنا على الإيقاع، إيقاع الحداد، إيقاع الانفصال، إيقاع الجسد في المدينة، ثمة عدم اتساق زمني وإيقاعي بين الأجساد.

اختيار الممثلين موفق جداً، فضلاً عن جوليا قصار الممثلة المحترفة، يعتبر زياد سعد اكتشافاً. كيف اخترتماه؟

جريج: قمنا بكاستينغ طويل وتقدم زياد.

حاجي توما: كنا التقيناه في إحدى السهرات وحدثنا احدهم

عنه. لم نكن نبحث عن ممثل للدور بل على امرئ يملك علاقة خاصة مع جسده. زياد يجسد الدور أكثر مما يؤديه. لفا قابلناه في الكاستينغ ضمننا اذ وجدنا انه يشبه الشخصية كثيراً.

جريج: زياد، للتوضيح، ليس مالك. راقنا لديه إيقاعه وعلاقته بجسده. يمشي بالسرعة التي نمشي فيها. لكن حين ننظر اليه فكانه يسير في حركة بطيئة، يدخل مثلنا، لكن كأنه يأخذ وقته في التدخين. لا يمكن ان نلعب ذلك، أي البطء، اذ يظهر الأمر مركباً، ثم عملنا معه على التفاصيل.

حاجي توما: اشتغلنا معه في طريقة خاصة للوصول الى الدور، لم نقل له أشياء كثيرة. لم نعط الممثلين السيناريو. حدثناهم عن الحالة وقلنا لهم تلك هي العلاقات في ما بينكم. لم يكونوا عارفين ماذا قبل كل مشهد وبعده.

جريج: اعتمدنا طريقة عباس كياروستامي في العمل مع الممثلين. أي ترك الممثل يفاجئ. عملنا مع الممثلين في شكل منفصل.

وماذا عن الممثلة الكسندرا قهوجي؟

حاجي توما: قابلناها في الجامعة ورأينا لديها شيئاً جميلاً. حضوراً قوياً لدى مرورها، حسية كبيرة ضرورية للفيلم. مالك يتبعها طوال النهار، يتبع صورتها. حضورها جميل جداً امام الكاميرا.

الفريق التقني ممن يتألف؟

حاجي توما: مديرة التصوير جان لابواريه تعاوننا معها في فيلمنا الروائي القصير السابق "رمد".

جريج: نتفق معها كثيراً.

المهم لديها انها استطاعت التقاط مناخاتنا المحلية الخاصة.

جريج: مع إمكانات ضئيلة جداً، وللمونتاج تعاوننا مع تينا باز.

حاجي توما: أضحت لدينا عائلة سينمائية، نعمل معا ونتناقش. نحن اثنان وليس سهلاً التعامل معنا.

جريج: للديكور أيضاً يستمر معنا شفيق خياط منذ "البيت الزهر". هناك أيضاً تلميذتك كورين شابي التي كانت مساعدة اخراج ثانية وساعدتنا كثيراً. كان على اليلاتو اناس لا يملكون خبرة كبيرة لكنهم دخلوا جو الفيلم وكان التعاون ممتعاً جداً.

مشاريعكم المقبلة؟

حاجي توما: فيلم رواي قصير نصوره قريباً وأخر رواي طويل نهي كتابته.

زياد سعد والكسندرا قهوجي في "يوم آخر"